المثقف العربي: إشكالية الدور الفاعل

الدكتورة إسعاف حمد*

الملخص

تمرّ المجتمعات العربية بتحولات كبرى منذ نهاية العقد المنصرم، وفي مرحلة التحولات يصعد دور المثقف لأنه مرتبط بتشكيل الوعي الجمعي.

تناول هذا البحث مفهوم المثقف، والإشكاليات المتعددة المرتبطة بمسألة المفهوم والتعريف، كما توَّقَفَ عند دور المثقف المتمثل في الموقف النقدي من الأطر الاجتماعية والسياسية السائدة في مجتمعه.

وعَرَضَ البحث أسباب تراجع الدور الفاعل للمثقف العربي، وأرجعها إلى عوامل موضوعية خارجية (انعدام الحريات العامة، وغياب المناخ الديمقراطي، وضعف المجتمع المدني، وسوء الحالة الاقتصادية)، وأسباب ذاتية (النخبوية الفكرية، والاغتراب، وتوزع الو لاءات والانتماءات، وعدم تحديد الأولويات) .

وسلَّطَ البحث الضوء على علاقة المثقف بالبنية الاجتماعية، والسلطة السياسية، وتوقَّفَ عند تماهي العلاقة بين المثقف والسلطة والمجتمع، ورأى الحل لتلك الإشكالية في مأسسة الحياة الاجتماعية والسياسية .

* قسم علم الاجتماع - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق

المثقف العربي: إشكالية الدور الفاعل

أسرفت الأدبيات العربية في الحديث عن دور المثقف، وتحوّلت إلى مقــولات لا يتوقف الكلام فيها وعنها، وظل الحديث يتردد حول هذه المقولــة بــصيغ ظاهرهــا مختلف لكن جوهرها واحد، فما تفسير التمسك بهذه المقولة والحديث المتكرر عنها؟

هل لأن المثقف جاهل بهذا الدور وبحاجة لمن يعرّفه به؟

أم من أجل تجديد هذا الدور وتطويره وتحريكه والإضافة لإليه؟

أم لأن المثقف لا يتمسك بهذا الدور ولا يحافظ عليه، لذا هو بحاجة دائمة لمــن يذكرّه به، ويحثّه على عدم التخلي عنه؟

هذه تأويلات متعددة ومتباينة، قد تفسر لنا تجدد الحديث عن دور المثقــف، ولا أريد الانحياز لأية واحدة منها لأن تلك التأويلات جميعها ممكنة، ولها أساس في الواقع الموضوعي، لأنَّ المثقفين ذوو أنماط وشخصيات متعددة، لذا يتعرضون إلى تساؤلات حرجة، تحاول التشكيك بدورهم، أو استثارتهم وتحريك نزعة النقد داخلهم.

تأسيساً على ما تقدم، حاول هذا البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

من المثقّف، ومتى يكون عربّياً؟

ما دوره، وما الوظيفة التي يقوم بها؟

هل ما زال المثقف قادراً على القيام بالدور المنوط به؟

ما علاقة المثقف بالبنية الاجتماعية، وبالسلطة السياسية؟

وهل يملك المثقف سلطة؟

أولاً – علاقة الفكر بالواقع :

تعدُّ المعرفة، سوسيولوجياً(Socilogically)، أداة من أدوات الحيــاة الاجتماعيــة التي يتعامل بها الأفراد المنتمون لبنية اجتماعية معينة، ويتحــاورون ويبنــون علــى أساسها مصالحهم المشتركة، ويتبادلون بواسطتها القيم والأعراف، ويعبّرون بها عــن رؤاهم المختلفة للواقع.

وكانت المحاولات الأولى لفهم الواقع الاجتماعي بإطاره العام، ولدور الفكر في تفسيره وتغييره، قد ظهرت مع عصر الأنوار، في القرن الثامن عشر، ونجد ذلك واضحاً في قول الفيلسوف (بيير بايل p.bayle)

"إن قدم الأخطاء لا يصحح من حالها، ولا يجعلها أفضل مما هي عليه، فلنقم بالأعمال العقلية الكافية للتخلص من فضلات الماضي وسخافاته الساذجة"[1].

ولم تحظَ مسألة الاشتراط الاجتماعي للمعرفة باهتمام الفكر العربي بشكل واضح ومباشر قبل القرن التاسع عشر، كما لم تطرح قضية الوعي وأهميته في عملية التغيير الاجتماعي على بساط البحث، وكذلك الأمر بالنسبة إلى دور المثقفين في تطوير البنية الاجتماعية بشكل منهجي علمي قبل ذلك الوقت[2].

فها هو الفيلسوف الفرنسي (سان سيمون S.simon) يربط بين النظم الاجتماعية، وشكل المعرفة المطابق لها، كما يربط بين طبيعة المعرفة والصراع الاجتماعي تحديداً، وكان أول من افترض علاقة ذات دلالة بين صراع الإيديولوجيات السياسية وصراع الطبقات[3].

وتحدّث (أوغست كونت O.comte) عن قانون المراحل الثلاث القائم على مبدأ الارتباط بين التطور العقلي والتطور الاجتماعي، وأكد أن الحركة الاجتماعية تقوم على الأفكار التي تحكم وتقلب العالم.[4]

1 دريعي، روعة: المثقف اللامنتمي اجتماعياً، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة دمشق، 2003، ص 16

2 المرجع السابق، ص 17

3 حسن، سمير : الثقافة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، 2007، ص161

4 فاديه، ميشيل : الإيديولوجيا : وثائق في الأصول الفلسفية، ترجمة أمينة رشيد وسيد البحراوي، ط1، دار التنوير، بيروت 1981، ص 10

أمَّا (كارل ماركس K. marx) فيرى أن الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد الوعي الاجتماعي، والطريقة التي نفكر بها تنبعث من الظروف الاجتماعية التي نعيشها، وتتعلق المعرفة بمسائل الوعي الطبقي والإيديولوجيات الطبقية المتنوعة، والبنية التحتية (قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج) هي التي تحدد البنى الفوقية (الإيديولوجيا، والأفكار، والقيم الاجتماعية والثقافية المختلفة).

ويرى عالم الاجتماع الفرنسي (إميل دوركهايم E.Durkheim) أن المعرفة كظاهرة اجتماعية لا يمكن تفسيرها إلا بظواهر جمعية، وأن كل حقيقة، في المنظور السوسيولوجي، يجب ربطها بوسط اجتماعي محدد.

إذاً، الوعي المجتمعي مشروط بالبنية الاجتماعية، وبتوزيع الجماعات، وبالعلاقات التي يفرضها هذا التوزيع عليها وعلى أفرادها[5].

ونجد لدى عالم الاجتماع الألماني (كارل مانهايم K.Mnnheim) تأكيداً لتفسير الأفكار بإرجاعها إلى الأصل الاجتماعي، وكان يعتقد بأننا إذا استطعنا أن نفهم بشكل صحيح أثر الحياة التي نحياها، في الطريقة التي نفكر بها، فإننا نستطيع إدارة المجتمع بطريقة فعّالة[6].

ثانياً – المفهوم والنشأة:

يعدّ مفهوم المثقّف من أكثر المفاهيم تداولاً في العلوم الإنسانية، ولاسيَّما الاجتماعية منها، وقد يحجب الشيوع بداهات تقوم مقام الإجابة العلمية فتحتّم طرح السؤال من جديد: فماذا نعني بالمثقّف؟

هل هو المفكر المتميّز والمسلّح بالبصيرة بمفهوم (فيبر M.Weber)؟

---

5 أنسار، بيير: الإيديولوجيات والمنازعات والسلطة، ترجمة إحسان الحصني، وزارة الثقافة، دمشق، 1984، ص 72

6 هارا لامبوس، ميشيل : اتجاهات جديدة في علم الاجتماع، بيت الحكمة بغداد، 2001، ص 586

أم هو المفكر المتخصص في أمور الثقافة والفكر المجدد البعيد عن الحياة بمفهوم (بارسونز)؟

أم هو المثقف العضوي بمفهوم (غرا مشي A.Gramsci)؟

أم هو المتعلم بمفهوم (الأفغاني)[7]؟

ليس من السهولة بمكان إيجاد تعريف محدَد للمثقف (intellectual)، ومتفق عليه في الخطاب العربي، أو في غيره من الثقافات، فهناك قضية خلافية بين المثقفين أنفسهم في تعريف ذاتهم، وأدوارهم، وصفاتهم، فبقي هذا المفهوم ضبابياً، مع كثرة استعماله ورواجه .

ويرجع (الجابري) هذه الضبابيّة إلى نقل مفهوم المثقّف من الثقافية الأوروبية إلى العربيّة، دون أن تتم تبيئته بالصورة التي تمنحه مرجعية محددة[8].

وعلى العكس من هذه الرؤية (الجابريّة) يعدُّ (أركون) المثقف هو الذي تبنّى علم الغرب وجماليته ونمط حياته وإيديولوجيته[9].

والمثقّف برأيه ذلك الرجل الذي يتحلّى بروح مستقلة، محبّة للاستكشاف والتحريّ، وذات نزعة نقدية واحتجاجية تشتغل باسم حقوق الروح والفكر فقط[10].

7 محمود، زكي نجيب : هموم المثقفين، دار الشروق، بيروت،1981، ص11

8 الجابري، محمد عابد : المثقفون في الحضارة العربية : محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص14

9 أركون، محمد: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء العربي، بيروت، 1986، ص232

10 أركون، محمد: بعض مهام المثقّف العربي اليوم، ترجمة هاشم صالح، مجلة الوحدة، السنة السادسة، العدد 66، 1990، ص12

أمَّا (ادوارد سعيد) فيعدُّ أن المثقّف هو من وهب ملكة عقلية لتوضيح رسالة أو جهة نظر أو موقف، أو فلسفة، أو رأي، أو تجسيد أي من هذا وتبيانها بألفاظ واضحة لجمهور ما ونيابة" عنه[11].

والمثقّف أيضاً عند (سعيد) هو إنسان يراهن بكينونته كلها على حس نقدي، وولاء المثقف لأي مجموعة بشرية لا يجوز أن يجرَه إلى درجة تخدير الحس النقدي، أو تقليص ضروراته الأساسية.

ما تقدّم من تعريفات يؤكد ضرورة فكّ الاشتباك الدلالي للمقصود (بالمثقّف) كي لا يبقى مصطلحاً كريماً يطلق على كثيرين، والمعنى الذي نفضّله للمثقف يرتبط بالتفاعل والفاعلية، وتجاوز الواقع في التفكير، المعنى الذي أشار إليه (سارتر Sartre) عندما عَدَّ المثقّف (الضمير الشقي) لأنه لايرتاح للأمر الواقع، ويسعى لتفسيره وتغييره، ولا يقف عند حدود معرفته وتخصصه العلمي، بل يتّسع ذلك ليشمل كل ما هو وطني وإنساني[12].

المثقف، إذاً، في هذا البحث هو المثقّف النقدي (Critical)، النزّاع إلى الشك في المنطلقات والبديهيات التي تفرض نفسها أمام وعيه، والذي تدفعه نزعة الشك هذه إلى الحذر والحيطة في بناء أحكام نهائية عن الأشياء، أو عن التعاطي مع الأفكار والحقائق الجاهزة.

هذا المثقف لا توجد في جعبته إجابات جاهزة عن معضلات العالم، إنه (مسربل) بحزمة من الأسئلة يطرحها على نفسه في كل حين، وهو مثقف قلق قلقاً

11 الرفاعي، زيد : أدوارد سعيد وأسلوب المثقف، الثقافة الجديدة، العدد331، 2009، ص73

12 علي، حيدر إبراهيم : المثقف العربي نحو دور فاعل، ندوة الثقافة العربية وتحديات المستقبل، الشارقة . 1996، ص30

معرفياً مزمناً، وليس جاهزاً لبناء معارف قدر جاهزيته لتدمير يقينيات، وتقويض بديهيات.

ويكون هذا المثقّف عربيّاً عندما يمتلك قدراً من الثقافة يؤهّله لقدر من النظرة الشمولية، وقدراً من الالتزام الفكري والسياسي بثقافة أمته وتراثها، وقضاياها، ومصيرها ومستقبلها، والقادر على الالتحام بالجماهير، ومجابهة التبعية الخارجية بأشكالها المتعددة والمتطورة.

إن تحديد بعض الجوانب التعريفيّة لمن هو مثقّف، لم يحسم ولا يحسم مسائل تظل مفتوحة من ضمنها أصناف المثقفين وتوجهاتهم المعرفيّة، ولئن كان المثقف الناقد هو من يجب النظر إليه كونه الأكثر تمثّلاً لمفهوم المثقف ودوره، فإن ذلك لا ينفي مزاحمة أصناف أخرى من المثقفين لاحتلال موقعهم في فضاء التعريف، إذ يرى أحد المفكرين العرب، أن هناك أربعة أنماط للمثقفين، هي المثقف الملحمي، والمثقف البدائلي، والمثقف التراجيدي، والمثقف المقاول. هذه الأنماط ليست متمايزة في الواقع، كما يبدو من تصنيفها، إذ يوجد بينها تداخلٌ، وقد يفضي بعضها إلى بعض[13].

وفي العودة إلى أصل المفهوم، ونشأته، وتطوّره التاريخي، نجد أن المثقّف لم يرَ النور إلا في الأزمنة الحديثة، في اللغة الفرنسية حصراً، قبل أن تنتقل عدوى المفهوم إلى اللغات الأخرى، وكان لابدَّ من الانتظار حتى أواخر القرن التاسع عشر (1898) كي يكتسب المفهوم دلالته السياسية والاجتماعية الفعلية بعد قضيّة الضابط الفرنسي اليهودي (دريفوس) الذي حكم عليه بالسجن والطرد من الجيش بتهمة الخيانة عام (1896)، قبل أن تعاد محاكمته ويُبرّأ نتيجة تدخل الروائي (إميل زولا)، والحملة التي قادها موقّعُوا العريضة الذين تجاوز عددهم الألفين، والتي وصفها (جورج كليمانصو) الذي كان في حينها زعيم اليسار السياسي الراديكالي، بأنها (يقظة عامة للمثقفين)[14].

13 لبيب، الطاهر: ثقافة بلا مثقفين، مجلة المستقبل العربي، العدد282، 2002، ص35

14 طرابيشي، جورج : مفهوم المثقف في فرنسا، موقع سيريا ميرور .

وإذا كان القرن التاسع عشر، بدايةً لمحاولة ربط الأفكار والقيم بالبناء الاجتماعي، فهذا لا ينفي عدم وجود إرهاصات تلك البدايات لدى الفلاسفة العرب وأبرزهم (ابن رشد) و (ابن خلدون).

إذ ربط ابن رشد (1126 – 1198) في مؤلفه الشهير (فصل المقال) بين طبيعة المعرفة وشكل الخطاب والاتصال المعرفي، ووظيفته وفعاليته، وتأثيره وجدواه، بطبيعة الجماعة التي تحمله وموقعها الاجتماعي من جهة، وطبيعة المخاطب من جهة أخرى.

كما يمكن عَدُّ أفكار ابن خلدون (1332 – 1416) أول محاولة منهجية لربط الثقافة كنمط حياة بالوجود الاجتماعي، والنظر إليها من طبيعة هذا الوجود بين البداوة والحضارة بشكل عام[15].

ثالثاً – دور المثقف ووظيفته:

لم يسبق للمثقّف العربي أن وضع على المحك كما يحصل الآن، في ظل التحولات التي تشهدها المنطقة العربية مع انتهاء العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ولم يسبق لمقولاته وقضاياه وآلياته أن تعرضت للاختبار وامتحان المصداقية كما تتعرض الآن.

إن جلّ المثقّفين بقي حائراً ومذهولاً أمام التداعيات الخطيرة والمتسارعة للأحداث التي أوقعت المثقف في أزمة هي الأعنف في تاريخه بعد هزيمة حزيران (1967)، وخلّفت تناقضات ما زالت تتناسل في الساحة الثقافية، وتعرّض نجوم الثقافة العربية للمساءلة عن دورهم، وعن جدوى مشروعهم الثقافي في ظل التطورات

15 حسن، سمير : مرجع سابق، ص 152، 153

الأخيرة، وربما لا نجانب الحقيقة عندما نؤكد تخلّي قطاع كبير من المثقفين العرب عن وظيفتهم التي تقوم على إنتاج الخطابات الضامنة لهوية الجماعة السائدة فيها[16].

كما تخلّوا عن دورهم المجتمعي، والمفترض أن يكون متمثلاً في التصدي للقضايا المفصلية في حياة مجتمعهم، وأمتهم، وأن يكونوا طليعتها عند المواجهة مع أعدائها، وخصومها، انتماؤهم غير قبلي، وغير إثني(ethnic) أو مذهبي، أدواتهم (ديكارتيّة Cartisiens) محضة، شكّهم لا حدود له، سابق لنقد لا نهاية له. نعم، فقد تخلّى معظم المثقفين عن ذلك الدور المنوط بهم، والمأمول منهم، هذا التخلي تمثّل في تقديري بمظاهر عدة أبرزها:

ــ التضحية بالحقيقة من أجل السلطة:

فقد نازع المثقف من الناحية التقليدية مطلبان متصارعان يتعلقان بعامليّ الحقيقة والسلطة، فهو من جهة يرغب في تبيّن الحقيقة وقولها، لكنه إذا اختار هذا الطريق سيعيش منبوذاً ومهاناً، أمَّا إذا جعل مواهبه في خدمة السلطة فإنه سيحقق المكانة والرفاهية وقد اختلفت الآراء في مدى تفضيل المثقّف لأي من الاتجاهين، ومع أن الرأي الغالب يشير إلى النزعة اليسارية من جانب المثقّفين تجاه السلطة، إلا أن الرأي الآخر يجد من يسانده[17].

ويرى (سارتر) أن العدو المباشر الألدّ للمثقف هو المثقف المزيّف،لأن المثقّف المزيّف هو قبل كل شيء مثقّف مبيع[18].

16 ليكريك، جيرار : سوسيولوجيا المثقفين، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2008، ص 17

17 Chomsky Noam:, knolwledg and the welfar state in long Priscilla, the new left Poston,Mass,1969,p175

18 سارتر، جان بول : دفاع عن المثقفين، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، 1973، ص43

وفي الدول العربية فإن (ميكيافيللي Ma chiavelli) مثّل شكل المثقف الذي كان مخاطبه الأساسي الأمير.

ـ التضحية بالمبدأ والحقيقة في سبيل المادة:

أصبح المثقف، قبل كل شيْ، رجلاً يقوم بأداء مهنة من المهن في مجتمع تمثّل فيه النقود القيمة العليا، ويحتج (ميلز Mills) بأن المثقف لم يعد متجرداً من روح الكسب العاجل والمباشر، ولم يعد لديه إحساس بالنزاهة[19].

وبمجرد أن يصبح الفرد من هؤلاء عبداً للمال، يتجرد من كونه مثقفاً.

ـ الافتقار إلى الشجاعة والاستعداد للتضحية:

تظهر شجاعة المثقّف من خلال تحمّل المخاطر التي تتضمنها عملية البحث عن الحقيقة الخالصة، وتحمّل الحملات الهجومية من جانب ذوي المصالح الثابتة أو القابضين على زمام السلطة في المجتمع .

لذا عَدَّ (كانط Cantt) أن البحث عن المعرفة بشجاعة وتحدٍّ هو السمة المميزة للمثقف.

ـ الافتقار إلى الوضوح:

إن وضوح المثقف يبرز أولاً من خلال إدراكه لحدود دوره، فأي فرد لا يدرك حقيقة مظاهر ضعفه وقوّته لا يستطيع فهم الآخرين أو مساعدتهم.

ـ الافتقار إلى الانضباط:

ويقصد به انضباط الذهن من خلال جعل عقل المثقف أداة خلاقة أكثر منه مرآة عاكسة أو مستودع للمعرفة، فضلاً عن انضباط الشخصية ككل .

19 Press, Haward,C.,Wright Mills, Twayne pupblishers, Boston,1987, p,77

ـ الافتقار إلى الإخلاص:

الذي يعدُّ أمراً ضرورياً لفهم عمومية الأزمة الإنسانية، ويقوم الإخلاص على الارتباط الوجداني بين الفرد والآخرين."[20]

وبمعنى آخر"، انسحب هؤلاء المثقّفون من (دائرة الفعل) والقيادة، إلى دائرة (ردّ الفعل) والتبعية، وتمثّل ذلك في رفعهم لبرقع الحياء الفكري المفترض عند تعاملهم مع المؤسسات الثقافية الأجنبية المشبوهة التي تعيث في مجتمعاتنا فساداً و تخريباً.

كما تمثّل أيضاً في حالة الاستلاب الحضاري العام، التي يستشعرونها تجاه ثقافة الآخر الغربي وحضارته، بل صاروا أدواته، ووسائله داخل مجتمعاتهم، وبدل القيام بدور اجتماعي فعال وإيجابي تجاه أمتهم وثقافتها، اتجهوا إلى الضدّية، وهي ضدّية لم تتوقف عند النواحي الشكلية والسياسية العامة، بل تجاوزتها إلى الجوانب الحضارية والإنسانية المؤثرة.

قد يتساءل بعضهم: ما الدور المطلوب من المثقّف العربيّ؟

يتركز الدور المطلوب من المثقّف العربيّ في ممارسة النقد للأساطير الاجتماعية والسياسية السائدة في المجتمع، ونعني بهذا النقد نقد السلطة والمجتمع على السواء، ليست السلطة – هنا – سلطة الدولة فحسب، بل نقيضها السياسي أيضاً (المؤسسات الحزبية المعارضة) بسبب حيازتها سلطة على (الرأي العام)، ومشروع سلطة أو حيازة للدولة.

وينبغي أن يتجه ذلك النقد إلى وجهتين: وجهة تفكيك مطلقات السلطة وأوهامها وأفعالها القهرية، ووجهة تعرية القاع المتخلّف للنظام الاجتماعي.

20 علي، محمد أحمد إسماعيل : المثقفون العرب والتنمية الذاتية، مجلة الوحدة، السنة السادسة، العدد66، 1990 ' ص 122

إن نقد التأخر(Underdevelopment)، ونقد الشعبوية(Popular)، هما العنوانان العريضان لنقد النظام الاجتماعي، والايديولوجيا(Ideology)التي تخرج من أحشائه، وهو نقد يعيد قراءة ذلك النظام قراءة وضعيّة هادئة، بعيداً عن الطلب السياسي الثوري، محاولاً الكشف عن الخلل فيه، وعن آليات ديمومته وتجدده، ليس المجتمع ضحيّة السلطة دوماً، بل قد يكون ضحيّة نفسه أيضاً، ضحيّة تخلفه الثقافي، وما دام بقي شعب ما في حالة تأخر ثقافي، فإن شيئاً من أهدافه لن يتحقق[21].

ربما يتساءل هنا سائل: بأي حق ينتدب المثقفون أنفسهم لممارسة دور القاضي على الدولة والمجتمع، والإجابة هي: لأنهم قبل غيرهم، يبحثون عن الحقيقة – وهي ضالة المؤمنين – فلا يسعهم التخلّي عن دورهم الطبيعي، فهم يمثّلون سلطة مرجعية مهمة، لا تستقيم سلطة المحاسبة في النظام السياسي والاجتماعي دون تشغيلها.

ومع فداحة النتائج النفسية للانهيارات الكبرى التي أطاحت بطوبى المثقف الملتزم، وطوّحت به في العراء أمام الحقائق المفجعة التي استفاق عليها وعيه فجأة، فإن الأوان لم يفت بعد لبعث الحياة في رسالة الالتزام التي حملها يوماً، والمقصود هنا إعادة تأسيس معنى جديد للالتزام[22].

ثمّة عناوين كثيرة لهذا الالتزام (الجديد) المطلوب اليوم من المثقف، مع تعددها، أكتفي بثلاثة منها: التنوير، والاستقلال الذاتي، والسيادة الثقافية.

المقصود **بالتنوير(Enlightlenes)**: الدفاع عن جملة من المبادئ الحيوية والضرورية لكل تقدم اجتماعي، دفاعاً قد يحتاج إلى الشجاعة الأدبية الكبيرة،

21 بلقزيز، عبد الإله : نهاية الداعية، الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت،2000، ص 117

22 بلقزيز : مرجع سابق، ص 145، 146

والاستعداد لدفع الثمن، خاصة حينما يكون على المثقف مواجهة غضب السلطان الاجتماعي.

يبدأ هذا الدور من نقطة معلومة هي الدفاع عن الفكرة العقلانية في الوعي والاجتماع، وعن الحرية والتسامح في السلوك الفردي والجماعي، وعن العلم كسلاح لا غنى عنه للتقدم.

هذا الدفاع يعرض نفسه في صورة إنتاج تراكم معرفي تنويري في القضايا الكبرى، وهذا التراكم الفكري هو وحده الذي يستطيع تأدية وظيفة التنوير في مجتمع ما تزال بناه الثقافية والاجتماعية راكدة .

أمَّا الاستقلال الذاتي: فإن للمثقفين رسالة اجتماعية خاصة هي حماية حق العقل، والوعي في ممارسة نشاطه الطبيعي دون حجر أو تقييد، عنوان هذه الرسالة الدفاع عن حرية التفكير، والرأي، والنشر، ضد أنواع المنع كلّه.

يزيد من درجة الحاجة إلى هذا الدور اليوم، أمران أساسيان: أولهما ما تشهده حرية الرأي من محنة، وثانيهما ما يعرفه استقلال المجال الثقافي من معاناة، وإذا كانت للمثقفين من قضية مقدّسة، في هذه المرحلة، فهي رفع الحظر عن حقهم في الكلام، أي في أن يكونوا مثقفين.

وفيما يتعلق **بالسيادة الثقافية**، يجد المثقفون أنفسهم مع أمّ التحديات جميعاً: حماية الأمن الثقافي من مخاطر الاستباحة الخارجية التي تحملها لهم التحولات والثورات العلمية الجديدة، التي تحققت في ميدان الاتصال، والتي كشفت عن هشاشة القدرة الدفاعية – الثقافية والعلمية – للمجتمعات الأضعف في سلّم القوة العالمي.

وعلى المثقفين قبل سواهم – بل دون سواهم – أن ينهضوا بدور حماية الأمن الثقافي، فهم المعنيون بحماية السيادة الثقافية والرمزية[23].

23 بلقزيز : مرجع سابق، ص 147، 151،149

هي ثلاث مهمات إذاً: مهمة علمية – معرفية (التنوير)، ومهمة اجتماعية (الحرية)، ومهمة وطنية (حماية السيادة) وهي جميعاً تنطق بحقيقة واحدة: ما زال دور المثقف مطلوباً، ذلك المثقف العضوي وفقاً لمفهوم (غرامشي) الذي يخاطب المجتمع معبّراً عن همّه أو وجدانه أو حلمه.

إذ بغيابه، أصبح (المثقف الراهن) في أحيان كثيرة بضاعته كاسدة تعاف عنها الجماهير، لأنه توقف عن إبداع فكر أصيل، واستمرأ بعضهم عمليات (التدليس الفكري intellectual prevarication)، والقيام بإعادة إنتاج معرفة الآخرين وتوزيعها بنقوش عربية وبعبوات محلية، وعندما تضيع الفروق بين الاعتقاد الحقيقي وبين النفاق، وبين الثبات على المبدأ والثبات على المبلغ، يفقد المثقفون وأهل الرأي مصداقيتهم لدى الناس، ويكّف النظر إليهم كطليعة أو نخبة قائدة. فما الذي أدى إلى انحسار دور المثقفين أوغيابه ؟

يرجع بعضهم أسباب ذلك إلى عوامل خارجية، فها هو (عبد الله العروي) يرى أن المثقف العربي يعيش حياة بائسة لأن مجتمعه يعيش برتابة ما تحت التاريخ[24].

ويرى (غسان سلامة) أن تراجع دور المثقف العربي ومظاهره مرتبطة بغياب المجتمع المدني[25].

أمَّا (سليم الحص) فيرجع الأسباب إلى غياب الديموقراطية والحريات في الوطن العربي[26].

24 العروي، عبدالله: أزمة المثقف العربي : تقليدية أم تاريخانية، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1985

25 سلامة، غسان: المثقف العربي ومهامه الراهنة، المستقبل العربي، السنة السادسة، العدد 51، 1983، ص110

26 الحص، سليم : المرجع السابق ص112

ويرى (هشام شرابي) أن الوضع الاقتصادي المتردي للمثقف العربي، يجعل (المستقبل المؤمن) حلماً وليس خيارا،"خاصة في ظل انخفاض مستوى الدخل، وانتشار القيم الاستهلاكية، وتراجع قيم العلم لصالح قيم الشطارة[27] .

ويعتقد بعضهم الآخر، أن ما يعانيه المجتمع العربي من تخلّف وجهل وغياب للديموقراطية والحريات العامة، لا يعفي المثقفين من مسؤولية القيام بدورهم الطليعي، لذا يرجعون أسباب التقاعس والعجز، إلى عوامل ذاتية تتعلق بالمثقفين أنفسهم، وأهمّها حالة الاغتراب (Alienation) التي يعيشونها والتي منعتهم من تكوين انتلجنسيا عربية (Arabic Intelligentsia) تمكّنهم من القيام بدور قيادي في المجتمع.

والاغتراب الذي نقصده هنا، هو المفهوم (الهيغلي – الماركسي) الذي يعني (اللاقدرة disability) أي شعور الإنسان بسيطرة مخلوقاته ومنتجاته عليه بدل سيطرته عليها، أو المشاركة بها، أو اتخاذ القرارات التي تتعلق بحياته.

إن الغالبية العظمى من المثقفين يعيشون في حالة من الاغتراب، بمعنى أنهم يشعرون بالعجز تجاه مجتمعهم ومؤسساتهم، ويشعرون تبعاً لذلك بعدم الانسجام في مجتمعهم، وبوجود هوّة كبيرة بين أوضاع مجتمعهم والأوضاع التي يرغبون بها، وكانعكاس لهذه الحالة، نرى أن غالبية المثقفين يتنصلون من واقعهم، أو قد يقفون موقف المتفرج على ما يجري أمامهم.

وهذه الحالة من الاغتراب، تفقد المثقفين العرب كثيراً من (الزخم) اللازم للقيام بدورهم الطليعي في التصدي للأزمة التي يعاني منها المجتمع العربي.

إن حالة الاغتراب التي يعيشها معظم المثقفين العرب، أدّت بهم إلى الانسلاخ والانهزامية في مرحلة يفترض أن يؤدي فيها هؤلاء المثقفون دوراً رئيساً في خروج مجتمعاتهم من الأزمات التي تهدّد كيانها.

27 شرابي، هشام : مقدمات لدراسة المجتمع العربي، دار الطليعة، بيروت، 1991، ص 106

ويشير (معن بشور) إلى وهمين وقع المثقف العربي في أسرهما أو أسر أحدهما، في مراحل متعاقبة، فتضاءل انفعاله بالتحولات وانعدم فعله، أو تلاشى إزاءها:

الوهم الأول: هو شعور المثقف بضعف التأثير وصولاً إلى الإحساس بالعجز المطلق عن أي فعل في مجريات الأمور التي تدور من حوله، مما يقوده إلى الانغلاق الكامل، والتقوقع في دوائر ضيقة، والتحول إلى السلبية المطلقة المحفوفة بتشاؤمية مبالغ فيها في نظرته إلى الأمور.

الوهم الثاني: يتداخل مع الوهم الأول، ويقود إليه في كثير من الأحيان هو ذلك الإحساس المبالغ فيه، بأنه (المثقف) قادر بكلمة أو بموقف أو بإطلالة إعلامية أو قصيدة ملتهبة أن يغيّر مجرى التاريخ في بلده، إنه إحساس بدور (رسالي) انتدبته العناية الإلهية أو القدر للاضطلاع به، إنه تداخل الأسطورة بالبنية النفسية والعقلية الغضّة، بالواقع الحقيقي فيصلبها[28] .

إن هذين الوهمين اللذين تجاذبا العديد من المثقفين العرب، هما مع تناقضهما الظاهري، يشتركان في كونهما نابعين من مصادر متقاربة إلى حدّ كبير، فكلا الوهمين ناشئ عن ابتعاد هؤلاء المثقفين عن معايشة الواقع الحي بتعقيداته وتداخلاته كلّها الذي يشكل امتحاناً دائماً لصدقيّة النظريات والأفكار، وكلا الوهمين ناشئ أيضاً عن ضعف فكرة الالتزام لدى المثقف، أي التشويشات الشائعة العالقة بمفهوم الالتزام (الالتزام الحزبي أو العقائدي الضيق أو السياسي المباشر).

وكلا الوهمين نابع من غياب التراكم في معظم جوانب حياتنا العربية الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، الذي يعدّ الأساس في تحويل التأثيرات الفردية المتناثرة إلى تحولات نوعية.

---

28 بشّور، معن : المثقف العربي إزاء التحولات فاعل أم منفعل، ندوة الثقافة العربية وتحديات المستقبل، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 1996، ص 11

وأخيراً كلا الوهمين ناشئ عن فهم مغلوط به للعلاقة بين الثقافة والسياسة، فبعضهم لا يستطيع أن يرى الثقافة إلا ذيلاً للسياسة وملحقاً بها، في حين يتصور بعضهم الآخر أن الثقافة قادرة على فعل المعجزات.

وفي الحالتين يضحي المثقف أسير الأوهام والقيود التي تعطّل فاعليته وتهدر طاقته وتهمّش دوره وتأثيره .

ويرى البعض أن نخبويّة الثقافة(intellectual elite) والمثقفين التي تعبّر عن وجودها بشكل قطيعة (شبه كاملة) بين المثقف والناس العاديين الذين يفترض أن يتكلم المثقف باسمهم ومن أجلهم، فضلاً عن تجسّد تلك النخبوية في الفصل التام بين من ينتج الثقافة وبين من يستهلكها، هي من أهم الأسباب الذاتية التي تحول دون ممارسة المثقف لدوره[29].

رابعاً – المثقف والبنية الاجتماعية:

من المعروف أن المثقّف أساساً هو نتاج تشكيلة اجتماعية معيّنة، تحتّم عليه مسؤولية عما يحدث أمامه – إمَّا عبر دوره النشط كشريك صغير في مخرجات التشكيلة السياسية – الاجتماعية القائمة (إن كان من مثقفي التشكيلة القائمة)، أو عبر دوره النشط كمحارب فارّ من ساحة الصراع، وفي الحالتين ثمّة مسؤولية أخلاقية في ضمير المثقّف.

ويرتبط المثقفون بالفئات والطبقات الاجتماعية بروابط عدة، وهم لا يشكلون كياناً مغلقاً مستقلاً عن بنية المجتمع، بل هم موزعون على شرائح المجتمع كلّها، سواء من حيث انتماؤهم، أو من حيث منبتهم الاجتماعي.

29 هنا، غانم: استقلالية العامل الثقافي في التنمية، ملتقى العنصر الثقافي في التنمية، جامعة تونس، 1988، ص 9

يقول غرامشي:

"إن كل فئة اجتماعية، ترى النور في بادئ الأمر على أرضية وظيفة أساسية في عالم الإنتاج الاقتصادي، تخلق عضوياً، وبنفس الوقت الذي ترى النور فيه، شريحة أو عدة شرائح من المثقفين الذين يزودونها بتجانسها، وبوعي وظيفتها الخاصة، لا في المضمار الاقتصادي فحسب، وإنما في المضمار السياسي والاجتماعي أيضاً[30]."

يُرجع (غرامشي) في النص السابق، مفهوم المثقف إلى نقطتين:

الأولى: تشير إلى أن المثقف لا يعرف من باب التفريق بين عمل فكري، وآخر عضلي، بل من منطلق المكانة والوظيفة التي يقوم بها داخل البنية الاجتماعية، إذْ يقول:

" إن كل إنسان هو إنسان مثقف، ولكن ليس لكل إنسان في المجتمع وظيفة المثقف" [31].

وبهذا يشمل مفهوم المثقف كل من يمارس عملاً تربوياً ثقافياً، فيضم (الحزب) المثقف الجماعي، والمعلم، والقائد، والفيلسوف، والصحفي...

والنقطة الثانية: تبرز أن كل طبقة اجتماعية تفرز وتنتج شرائح من المثقفين لا يقومون بوظيفة تمثيلها فقط، بل يرتبطون بها عضوياً إذْ يقومون بتنظيم وظيفتها الاقتصادية.

وبذلك تبرز وظيفة المثقفين بوصفهم (اسمنتاً) يربط البنيتين الفوقية والتحتية للمجتمع، وأكثر من ذلك تقوم كل طبقة اجتماعية بنشر تصورها المتجانس عن العالم

30 بيوتي، جان مارك: فكر غرامشي السياسي، ترجمة جورج طرابيشي دار الطليعة، بيروت، 1975، ص162

31 أبو حلاوة، كريم: المثقف العربي وإشكالية الدور المفقود، مجلة الوحدة، السنة السادسة، العدد 66، 1990، ص 86.

من خلالهم، وتقوم في الوقت نفسه بنقد آراء الطبقات الأخـرى وتعريـة تـصوراتها وعقائدها التي تشوه وعيها الذاتي المستقل من خلال المثقفين المرتبطين بها عضوياً.

وفي الانتقال من العام إلى الخاص يمكن القول: إنَّ علاقة المثقف العربي بالبنـاء الاجتماعي تتسم بالجدليّة (dialectical) فكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر، ومن المعروف أن البناء الاجتماعي في الوطن العربي، قد تعرّض لمجموعة من المشكلات في أثنـاء عملية التحول الاجتماعي من التكوينات الاجتماعية التقليدية، إلى التكوينات الاجتماعية الحديثة، وهناك عدة عوامل أدّت دوراً في تحويل هذه المشكلات إلى أزمة، من تلـك العوامل : تدخلات القوى الخارجية، ووجود الجيوب الإثنية(ethnic) والطائفية، وسيادة العلاقات العشائرية والقبليّة، وانحياز النخب السياسية لمصالحها، وترسيخها التبعيـة للدول الغربية، واستثارتها للولاءات التقليدية، وإبقاؤها على الوضع القائم .

هذه الأزمة في البناء الاجتماعي العربي، طرحت على المثقف العربي مجموعـة من التحديات، ووضعته أمام مجموعة من التناقضات منها: العزلة التي ستفرض عليه إذا حاول تغيير الوضع القائم، والجمع بين ولاءين : ولاء تقليدي لجماعته الإثنيـة أو طائفته وعشيرته، وولاء يستند إلى الطبقة التي ينتمي إليها، ومنها أيضاً التناقض بـين المبادئ المعلنة والسلوك المتبّع، وذلك نتيجة عدم وجود مناخ ديمقراطـي، أو منـاخ فكري يشجّع المثقفين على قول ما يريدون[32].

ومن أجل فهمٍ أفضل لعلاقة المثقف العربي بالبناء الاجتماعي المأزوم، ينبغـي علينا معرفة:

ــ موقع المثقف في البنية الاجتماعية، والمعايير التي يُحدَّدُ على أساسها هذا الموقع .

ــ ولاء المثقف (الفئوي) أو (الطبقي).

32 المحمّد، محمود حديد : الأسس الاجتماعية للوعي السياسي عند المثقفين، رسالة ماجستير غيـر منشورة، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع،1999، ص 81

ــ كيفية تعامل المثقف مع الواقع العربي المأزوم .

يتحدد موقع المثقف في البنية الاجتماعية من خلال تداخل عدة معايير: قيمة عمله الذي يؤديه اقتصادياً واجتماعياً ومقدار ما يدرّه عليه هذا العمل من دخل، ثم المكانة الاجتماعية التي يتحصل عليها من خلال حسبه ونسبه. أمَّا المعيار الثالث فهو الطائفة التي ينتمي إليها حيث يتحدد موقعه بحسب موقعها، أمّا المعيار الرابع فهو استقلالية المنصب ودرجة النفوذ .

ويجب ألا يقتصر الأمر على المعايير السابقة، إذ من الضروري إعطاء البعد السياسي ــ الإيديولوجي، بعض الأهمية المفتقدة ضمن معايير تحديد طبيعة الانتماء الطبقي[33].

وفي ظل غياب القاعدة الصلبة للمجتمع المدني العربي، يجري التفاعل الاجتماعي والسياسي في الوطن العربي على أساس طائفي وعشائري وإثني فالقبيلة والعشيرة والطائفة مازالت هي الوحدات الاجتماعية السائدة التي تمنح الأفراد ــ ومنهم المثقفون ــ هويّاتهم، وإليها تتجه ولاءاتهم .

كما أن تناقضات المجتمع العربي، التي تتمثل في كونه مجتمعاً شديد التنوع انتقالياً يتجاذبه الماضي والمستقبل، والشرق والغرب في آنٍ واحد، سلفياً غيبياً أصيلاً في منطلقاته ومستقبلياً متجدداً علمانياً في تطلعاته - والعكس يبدو صحيحاً-، منفتحاً متغيراً بسرعة ومغلقاً وثابتاً بشكل مذهل، غنياً في ثرواته ومواقعه وفقيراً متخلفاً مهدد .... الخ[34].

هذه التناقضات تدفع بعض المثقفين إلى تبنّي مواقف متطرفة تعمل على زيادة حدة التناقضات، وتفاقم الأزمة وتبادل الاتهامات بين التيارات المتصارعة فالإسلاميون

33 المحمد، محمود حديد : مرجع سابق، ص 89

34 بركات، حليم : المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص13

إرهابيون وهم المسؤولون عن تخلف المجتمع العربي وجموده، والماركسيون ملحدون يريدون القضاء على قيم المجتمع العربي الدينية والأخلاقية، والقوميون يريدون تصفية الجماعات الإثنية، والليبراليون يريدون محو الهوية العربية والقضاء على التراث العربي وإلحاقه بالغرب .

مما تقدم يمكن القول: إنَّ المثقفين في الوطن العربي يشكّلون فئة أو شريحة اجتماعية ذات سمات بنائية خاصة ومكانة اجتماعية متميّزة ويتمثل هذا في ما يحملونه من أفكار، وما يقومون به من أدوار وما يؤدونه من وظائف، وينعكس تأثير ذلك على المجتمع وديناميات الحياة السياسية والاجتماعية عامّة"، لكن هذا لا يعني أنهم يمثّلون طبقة اجتماعية قائمة بذاتها.

خامساً ــ المثقف والسلطة السياسية :

تثير العلاقة بين المثقف والسلطة السياسية، جدلاً متواصلاً، ويسود اعتقاد بأن المثقف لابدَّ أن يكون ضد السلطة السياسية بسبب موقفه النقدي أصلاً، فالمثقف بحسب (سارتر) هو (الضمير الشقي)، الذي لا يرضى ولايقتنع بالأمر الواقع، والمثقف بتكوينه وإدراكه يفترض فيه صعوبة التكيف ولكنّ الحياة الواقعية تفرض عليه -في كثير من الحالات- قدراً من التنازلات والحلول الوسطى .

تنفي بعض الدراسات هذه الثنائية والتناقض الكامل بين المثقفين والسلطة السياسية، فالمثقف الذي يتعلّم ويعمل ويتفاعل في إطار هذه السلطة، من الصعب عدَّهُ خارج السلطة، وفي مواجهة دائمة معها .

ومهما تكن نقاط التلاقي والتباعد بين المثقف والسياسي فإن كليهما بحاجة للآخر، وسواء كان المثقف في السلطة أو مستقلاً عنها، فإنه يدخل في شبكة علاقاتها على حد تعبير (ميشيل فوكو) الذي يرى أن المثقفين طرف في السلطة وممارستها وفي بنية خطابها، ومن ثم هم طرفٌ في لعبة السلطة، فإذا كان المثقف يشارك في صياغة وعي

المجتمع، فإنه بالضرورة يتقاطع وبعمق مع السياسي ــ طبعاً المقصود هنا بالمثقف،المثقف العضوي(Organic) بحسب تعريف غرامشي[35].

تبنّى بعضهم في المدة الأخيرة فكرة (تجسير الفجوة briding the gap) بين المفكرين وصانعي القرار، بحسب الجسر ــ الفجوة الذي يفصل بين الأمير والمفكر، خاصة" أنَّ كلَّ واحدٍ منهم يحتاج إلى الآخر، فالأمير يواجه أزمة الشرعية، والمفكر يعيش الانفصام والتشرذم، والغاية النهائية هي حل أزمة المجتمع والمفكر والأمير بإصلاح الخلل بين المفكر والأمير، والحد الأدنى للتواصل هو الجسر الخشبي الذي يتمثل في صفقة بين الاثنين، إذْ يقوم الأمير بضمان الحد الأدنى للأمان البدني للمفكر، والكف عن قهرهم، وحرية الانتقال والإنتاج الفكري والثقافي، وإتاحة وسائل التعبير لهم في قنوات وسائل الاتصال الجماهيري في تلك المسائل التي لا يرى فيها إضراراً بمصالحه، أو مساساً بذاته، ومقابل ذلك على المفكر أن يساعد الأمير بفكره وخبرته كلما طلب منه الأمير ذلك مادام لا ينطوي على مخالفة جسيمة لضميره، أو إخلال بواجباته حيال المجتمع، وإلا فليعتذر عن ذلك بأدب.

هذا وقد وجد كثير من المثقفين العرب في هذه الدعوة قاعدة ذهبية في التعاون مع السلطة السياسية، وأصبحت (مانيفستو) يبرّر بارتياح مواقف المثقف في علاقته الإيجابية مع الحكم[36].

وتجدر الإشارة إلى أن الوضع الذي تدعو إليه فكرة التجسير يسود فعلياً في المجتمعات الغربية، ويجنّب المجتمعات التوترات، فالمثقف ليس بعيداً عن السياسة، فهو يؤثر من خلال توعية الرأي العام، أو تقديم النصح والمشورة للنخبة الحاكمة في

35 الحبيب، عبد الرحمن : سلطة المثقف ومثقف السلطة، صحيفة الجزيرة، الرياض، العدد 13430، 6 / 7/ 2009

36 إبراهيم، سعد الدين : تجسير الفجوة بين المفكر وصانعي القرا ر في الوطن العربي، المستقبل العربي، العدد64، 1984، ص29

أمور الاقتصاد والسياسة والعلوم والثقافة، كما يقوم بوظائف عديدة ذات صلة بالعمل السياسي مثل العلاقات العامة العلمية، ووضع السياسات المناسبة للانتخابات، والحجج التي تبرر القرار السياسي فضلاً عن الحلول العلمية للمشكلات، والاستشارة السياسية المتكاملة.

سادساً- المثقف، والسلطة، والمجتمع:

نحن الآن بصدد ثلاثة أركان رئيسة تتحدد في العلاقة بينها طبيعة السيرورة الاجتماعية، ومن ثمَّ طبيعة التفاعل الاجتماعي: المثقف، والسلطة، والمجتمع، وكل من هذه الأركان الثلاثة يمتلك منطقه الخاص، أو نظامه الفكري الذي من خلاله يفكر ويسلك، وتبدو أنظمة الفكر هذه، وخاصة" في حالتنا العربية المعاصرة، متناقضة أشد التناقض، وعندما ندقق النظر أكثر، نجد أن التناقض بين منطق السلطة ومنطق المثقف هو الأكثر بروزاً، فالسلطة السياسية لا يهمّها إلا واقع الحال الآنيّ، لأن هذا الواقع هو المحدد لاستقرارها، ومن ثمَّ وجودها. والمثقف كما يصوّر نفسه، إنَّما يتحدث عن مأمول الحال دون كبير اكتراث بواقع الحال، وكلا الاثنين يتنافسان على المجتمع ومكوناته من أجل اكتساب شرعية الوجود، في صراع واضح للقدرة على التأثير، ومن هذا التنافس على ترويج كل طرف لمنطقه في المجتمع، تنشأ الإيديولوجيا، بصفتها الخطاب الأكثر قبولاً وإدراكاً لدى فئات المجتمع المختلفة (العامّة puplic).

ولمَّا كانت (العامّة) ميالة بطبعها إلى التلقائية والعاطفية والنفع المباشر، فإنها تكون متأرجحة الاتجاه بين هذين الخطابين الإيديولوجيين: خطاب المثقف المؤدلج، وخطاب السلطة القائمة .

في حالات الاستقرار النسبي، السياسي والاجتماعي، تكون السلطة أكثر قدرة على احتواء المجتمع، واكتساب ولاء أطرافه المختلفة، أمَّا في حالات عدم الاستقرار

النسبي، أو في حالة التحولات الاجتماعية الحادة فيكون المثقف أكثر قدرة على الاحتواء[37].

فإذا نجحت السلطة وخطابها الإيديولوجي في احتواء المجتمع، فستدفع المثقف إلى الركون والعزلة والانسحاب، والتقوقع حول ذاته وأحلامه. وإذا نجح المثقف في اكتساب قواعد اجتماعية واسعة، فإنه يتحول إلى (زعيم) شعبوي أو جزء من زعامة شعبوية، مبتعداً بذلك عن الحلم والواقع معاً، ليصبح همّه الأوحد الحفاظ على (عصبية) الزعامة ذاتها .

كيف يمكن الخروج من إشكالية المتضادات هذه في حالتنا العربية المعاصرة؟

إن حل (إشكالية) السلطة، والمثقف، والمجتمع، تكمن في مأسسة (institutional) الحياة السياسية والاجتماعية، فالمؤسسة ليست إلا فكرة متجسّدة على أرض الواقع. ومن هنا تنبع قيمتها وفاعليتها، كونها وعاء تلتقي فيه حركة السلطة والمثقف والمجتمع بشموليتها .

ويبقى سؤالٌ أخيرٌ لابدَّ من طرحه: هل يملك المثقف سلطة في المجتمع؟

الجواب نعم، فعلى اعتبار أن المثقف هو منتج وعي للجماهير، فلديه سلطة معنوية واسعة لأن كل من يتميّز بمقدرته على التغيير يمتلك سلطة ونظراً إلى أن المثقف قادر إبداعياً على تغيير تصورات الجماهير لواقعها، فإنه يغّير الواقع الاجتماعي نفسه حين يغيّر تصور الأفراد لواقعهم، فهو إذاً سلطة .

وبمعنى آخر تشكّل المعرفة قوة، والقوة سلطة، والمثقف يمتلك المعرفة لذا يمتلك السلطة .

37 الحمد . تركي : فكر الوصاية ووصاية الفكر، محاضرة ألقيت في مهرجان القرين الثقافي الحادي عشر، الكويت، 1997، ص13

بدل من خاتمة :

ماذا يستطيع المثقفون أن يفعلوا أمام هذا الزلزال الذي ضرب أركان مجتمعاتهم وممالكهم، غير أن يعيدوا قراءة وظيفتهم من جديد، غير أن يتساءلوا عمّا تبقى لهم من دور اجتماعي ؟

مرة" أخرى نعيد تأكيد أنّ ظرفيّة هذه المرحلة، هي أمثل مناسبة لإعادة وعي المثقفين لدورهم بوصفهم فئة اجتماعية مهمّة، والقلق المستبد بهم اليوم، ليس لحظة ضائعة في سيرتهم الذاتية، بل هو الطاقة التي يحتاجون إليها كي ينجزوا التمرين النقدي الضروري لعملهم، على أن الأهمّ في الموضوع كلّه، هو أن يتقنوا طرح الأسئلة على أنفسهم، وممارسة الاعتراف بأخطائهم، والقطع مع أوهامهم، توصلاً إلى بناء دور جديد .

المصادر والمراجع

1. إبراهيم، سعد الدين: تجسير الفجوة بين المفكر وصانعي القرارات في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد64، 1984
2. أبو حلاوة، كريم: المثقف العربي وإشكالية الدور المفقود، مجلة الوحدة السنة السادسة، العدد 66، 1990
3. أركون، محمد: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء العربي، بيروت، 1986
4. أركون، محمد : بعض مهام المثقف العربي اليوم، ترجمة هاشم صالح، مجلة الوحدة، السنة السادسة، العدد66، 1990
5. أنسار، بيير: الإيديولوجيات والمنازعات والسلطة، ترجمة إحسان الحصني، وزارة الثقافة، دمشق، 1984
6. إيزنبلاتر، بيرند: جذور المثقفين في المجتمع، مجلة قضايا عربية، السنة السابعة، العدد الثاني، 1980،
7. بركات، حليم: المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997
8. بشور، معن: المثقف العربي إزاء التحولات، فاعل أم منفعل، ندوة الثقافة العربية وتحديات المستقبل، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 1996
9. بلقزيز، عبد الإله: نهاية الداعية، الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000
10. بيوتي، جان مارك: فكر غرامشي السياسي، ترجمة جورج طرابيشي دار الطليعة، بيروت، 1975

11. دريعي، روعة: المثقف اللامنتمي اجتماعياً، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة دمشق، 20030. 12. الرفاعي، زيد : أدوارد سعيد، وأسلوب المثقف، الثقافة الجديدة العدد331، 2009

13 سارتر، جان بول: دفاع عن المثقفين، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، 1973

14. سلامة، غسان: المثقف العربي ومهامه الراهنة، المستقبل العربي، السنة السادسة، العدد51، 1983

15. شرابي، هشام: مقدمات لدراسة المجتمع العربي، دار الطليعة، بيروت، 1991

16. العروي، عبد الله: أزمة المثقف العربي تقليدية أم تاريخانية، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت 1985

17. علي، حيدر إبراهيم : المثقف العربي نحو دور فاعل،ندوة الثقافة العربية وتحديات المستقبل، دائرة الإعلام والثقافة، الشارقة . 1996

18. علي . محمد أحمد إسماعيل: المثقفون العرب والتنمية الذاتية، مجلة الوحدة، السنة السادسة، العدد66، 1990

19. فاديه، ميشيل: الايديولوجيا: وثائق في الأصول الفلسفية، ترجمة أمينة رشيد وسيد البحراوي، دار التنوير، بيروت،1981

20. لبيب، الطاهر: ثقافة بلا مثقفين، المستقبل العربي، العدد282، 2002

21. ليكريك، جيرار: سوسيولوجيا المثقفين، ترجمة جورج كتّورة، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2008

22. المحمّد، محمود حديد : الأسس الاجتماعية للوعي السياسي عند المثقفين رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1999

23. هارا لامبوس، ميشيل: اتجاهات جديدة في علم الاجتماع، بيت الحكمة بغداد، 2001

24. هنا، غانم: استقلالية العامل الثقافي في التنمية، ملتقى العنصر الثقافي في التنمية، جامعة تونس، 1988.

المراجع الأجنبية:

25. Dood, political development, macmillan 1972, p45

26. Press, .haward,c.,Wright Mills, twayne publishers, Poston, 1978, p 17

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2012/6/19.